



هوميروس

من
اساطير
الأولين



الأفريقيّة

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في أسيرطة

العشاق يتآمرون

مقدمة ما تقدم

وهادها وأنجد ، وانطلق تلياك وصاحبه من فورهما
إلى باب منالايوس الملك حيث وجدا ، لحسن
الطالع ، وجوها مسفرة ، وجاهير مستبشرة ،
وموسيقى تصدح ؟ ومنشدن بردون أناشيدهم
ويرسلون أغانيهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع
لها الملك وأبنائه وخلصاؤه ونداماه ، يا كلون
ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد
اجتمع القوم من كل حشد ، وأقبلوا من كل
صوب ، يحتفلون بابن الملك : بابنه الذي زوجته
أبوه من أجل غادات أسيرطة وأكثرهن وسامة
وقسامة وفتنة ، ابنة ألكثور العظيم ؟ ثم بابنته
المفتان اللعوب الطروب التي رزقها على كبر من
هيلين ، والتي نافست بجمالها ودلها هرميون ابنة
فينوس

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لمحهما إتيون ،
كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحديثه
عنهما . . « إن لهما لمهابة وإن عليهما لرواء ، فهل

« سقطت طروادة وعاد كل المحاربين من اليونان
إلا أوديسوس لطمع أسراء الأقاليم المجاورة في زوجته
الجميلة بنلوب وعصروا بيتها ، وأحزن ذلك إلهة
الحكمة مينرفا — أو باللاتينا — غرخت ابنه
تلياك على أن يقف في وجه العشاق ، وأن يجر إلى
ييلوس لیسأل أميرها نسطور عن أبيه وأبحرت هي
معه في صورة أمير البحر منتور وهو لا يدري أنه
هي ... وأكرم نسطور وفادة تلياك وقس عليه
ما كان بعد سقوط طروادة وأرسله معزراً مكرماً إلى
أسيرطة بعد أن أيقن أن منتور أمير البحر الذي
يصحب تلياك إن هو إلا مينرفا . وقد ذهب تلياك مع
أكبر أبناء نسطور إلى أسيرطة لیسأل ملكها
منالايوس — زوج هيلين التي كانت سبباً في حرب
طروادة — عن أبيه »

وصل الركب إلى أسيرطة بمسد أن غور في

إلا عن قصر سيد الأولب في شعاف جبل إيدنا :
أية ثروة وأى كنز ؟

وسمه منالايوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقرن أحدا منا - نحن بنى الموتي -
الى سيد الأولب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد
يملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سجت
في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدرر
الفوالى من كل فج ... من كريت وقبرس وفينيقية
ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا
ولوبيه ... ورؤوس الشاء والوعل هذه ... الوعل
الوحشى السأم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بغير
حساب ... لقد طوفت في الآفاق وتركت في كل
منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم آباؤكم بذكر
منالايوس الملك الذى ذك المعاول وهدم القصور ...
ما أنس لا أنس هذا القصر العتيد الذى جمعت
عليه سافله بما فيه من أذخار وقبى ، وددت لو كان
في قصرى شئ ، منها ، وود الأغبى لو حصلوا في
بلادهم جيماً على بمضها ! هناك ! هناك تحت أسوار
طروادة يا صاح يا ويح نفسى ! يارحمتنا الأصدقاء
الأحباء الأغزاء الذين ناموا نومة ! ! اشد ما أسلى
النفس عنهم بالتأمى ؟ لشد ما يتدلح الأسمى في قلبى
عليهم جيماً ، ولا سيما صفى وخابلى وأهن أودائى
على ... أوديسوس ! ! أوديسوس الكريم ! ليت
شمرى يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك
الأمد ؟ أى ترزق ؟ أم توبت في بطحاء باقع ؟
يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ، وزوجك اللئاعة ،
وابنك المحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرته في
المهد ما باغ الفطام ، الى حومة الوعى وحابة
الحمام ... »

يأذن لهما مولاي أم بأمر فتردهما من حيث أقبلتا ؟
وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد في وقاره
وحسن سمته شعره الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب
اليهما ، يسير بين أيديهما إليه ... » ... إذ كيف يرد
عن طامى الغرباء ، وقد طعمنا طويلاً زاد الغرباء
ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب الى
الوافدين الكرميين فحيا وسلم ، وحل الأجم وأماخ
البهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من طريق
يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى
ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت
في الأنوار الوضاعة والشرج الوهاجة ... ثم لقيتهما
فتيات من عذارى القصر فقدمتهما الى الحمامات
المرسية الباذخة فاغتسلا وتضمخا وابسا ثياباً
ملكية ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهش الملك لهما وبش ، وأجلسهما الى جانبه
على مقعدين وثيرين ، وهما في دهش من ذاك المنظر
العجيب . وأقبلت فتاة فسبت على أيديهما الماء ،
وذهبت فأحضرت مائدة رائمة منسقة ، عليها قدر
غير قليل من أنحر الأشربات وأشهى الآكال ،
ووقف خادم آخر يقدم طبقاً بعد طبق ، وكأساً
من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك
يبالغ في إيناسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى
يفرغا من طعامهما فيخبرانه عن أمرهما ، وكان يتلطف
فيقدم لهما قطعاً من شوائه بيده .

وسار تليماك صاحبه فقال :

« يئسرتاوس يا صديقى ! ما أجل وما أنعم
وما أروع ؟ ! هذا الحفل الباهر يتألق في الذهب
والفضة والماج والكهرمان ودروع النحاس !
أبدأ ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا المتهافت باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استنخرط في البكاء ، وطفق يُذرى شئونه في طرف ثوبه ... بين دهشة منالايوس وحيرته ، وذهول الحاضرين . وانقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم بنظرون إلى هذا الرشأ الذي يتثنى مياساً في ظلال من الفتنة كأنه ديانا ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنضد ، الذي أصلحته بدا أدرستا وعناية أكليپ ، ثم أحضرت الطرف والهدايا والهي ... فهذه سلة من الفضة المزخرفة بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بواب أمير طيبة ، عروس المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يدّر من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان من الابريز ... يقدمها كلهما ملك أسيرطة إلى زوجه الباردة الرائسة الهيفاء ... ونظرت هيلين إلى الضيفين الغريبين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس ... الصغير تليماخوس ... الذي تركه أبوه صبيّاً في المهد من جراء حرب اليوم المشئومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار بخلدى ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى : ألا ما أشبه الساقين والساعدين ونفتر العينين واسترسال اللتين ^(١) بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت ما قامى صاحبي من أجل وفي سبيلي تحت أسوار اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكي ويبكي ويبالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفى وجهه ، وفيه

(٢) اللمة الشعر الذي يحاوز شعمة الأذن

روحه ، في ثيابه من الهم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقاً أيها الملك إنه هو ! ولكنه خجول حبي ، ولقد أوشك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فاني ابن نسطور صديقك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب تليماخوس إلى هنا عسى أن يسمع خيراً عن أبيه الذي ذهب بذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيا ن قد ذهب ... وهاك ابنه المكلوب يجتر أشجانه ، وتطحن فؤاده أحزانه . »

وشده البطل - ذو الشعر الكهرماني - فقال :

« يا للآلهة ! أهكذا أفاجا بقاء ولدي ! أنت ! أنت ابن أوديسيوس الذي شق طويلاً بسبي ، وبذل نفسه من أجل ، وما يزال يناضل الولايات من جرأى ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت أنك تسمى للقاء أشدت لك مدينة في أرجوس ندية على المدائن وترهى على القرى : ورفعت لك عمّاد قصر منيف طالما كنت أخاله يؤوبنا جميعاً فنسعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ومن بعد ... وتلتذ ، أما وأبوك وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات الماضي المترع ... آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك السماء ... فخرمتك كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى تليماخوس ، وأذرفت المأسكة ، وانبجس الدمع من عيني بيرستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها

لقد أزدى بي أن أفر راغمة فأهجر فرائي الطهور
وطفاى اليافعة إلى بلاد قاصية لاناقة لي فيها ولا
جل ... »

وأعذرَها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :
« أبدأ ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً
من أوديسيوس ؟ وإن أنس لا أنس يوم الروع
الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر
هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان المذولة الذى قهر
لنا طروادة فى يوم أو بعض يوم ، وقد عيينا بها
السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس^(١)
الصناديد . وكنت أنا — سقى الله الشباب —
واحداً منهم ، فما أنبى قط حين أقبلت فى
عصبة ذوى أيد من مذاويد الطرواديين (إذ هتف
بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شرأ و بطوى
أقربتهم ثبوراً) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان
اليونانيين واحداً بعد واحد لئلا ترى هل اختبأ منا
بداخله أحد كما تنبأ بذلك المتنوون . والله لقد
كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ والله
لقد أوشك زميلي ديوميديد يرد عليك هو الآخر ،
لولا أن فطن أوديسيوس فحذرنا وحبس ألسنتنا
الشقاقفة التى كادت توردها موارد الهلاك ، لو أن
أحداً منا خدع فنبس بينت شفة ... وأحارباً !!!
لقد صمتنا جميعاً ولسكنك عاودت ، فما كدت
تهتفين باسم أنتيكلاس ، حتى أوشك المجنون أن
يلبى ، لولا أن كنتم أوديسيوس أنفاسه بكلمات يديه ،
حتى لسكاد يزهق روحه !!! ولم يُعَفِّه حتى أبقنا
أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون »
ثم كان الهزيع الأخير من الليل ، فتلطَّف

الملك ! لقد تذاكرنا ، أنا وصاحبي ، جلائل أعمالك
فمرتنا فيك المليك الأجل ، والقدام البطل ، ولكن
ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى أخى وابن
أُمى وأبى فى سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس !
البطل المغوار والفارس الكرار الذى لم تكتحل
عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أودودا القادر ، شات
يداك بما فتكت بأخى ... »

وتعطف الملك فطيب ابن تسطور بكلمات
عاليات ، وأمر الندمان فصب الماء على أيديهم جميعاً
ثم أخذوا فى آكلهم ، وصبت هيلين قطرات من
طيب مُذهَّب الأحزان فى كأس تلياك ، وكأس
صاحبه ، ليعرف من يذوقها إلى الأسى من سبيل .
وهى قطرات عجيبة أهدتها الملكة ، زوجة (ذون)
الأميرة المصرية بولندامنا ، وكم فى مصر من سحر
مبين !

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كان من
أوديسيوس يوم التقى الجمعان عند اليوم ، وكيف
استطاع أن يتسلل مستخفياً فى ثياب شحاذ إلى
داخل المدينة العتيقة ، وكيف قابها فى حجرة
إريس ليطالعها على خطة اليونانيين ، وما كان من
رجائه إياها ألا تفضحه عند أعدائه حتى يعود سالمًا
إلى معسكره ونجيمه ، وأنها برت فلم تنبئ أحداً
بوجوده .. ثم رأت أن تتصل من فضيحة فرارها
مع إريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغها
لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما
وعدت به إريس من أنها ستبهه أجمل غادات
هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة^(١)) . « واخرجناها !

(١) الأباظة — قضى إريس بالتفاحة لفينوس وحرم
منها ميراثاً وحيراً وذلك سبب عداوتها للطرواديين

(١) اسم يونان القديمة

بنافس بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء ...
من أجل زوجه !! يا للعار !! إنهم استباحوا كل
شيء ... كل نعمته وكل شأنه ، ولم يمتنعوا الآخر
الأمر عن عرضه ، انى أستجبرك يا مولاي وأضرع
اليك أن تخبرني عما تعلم من أمر أبي ؟ هل قضى
تحت أسوار اليوم ؟ أم غابته يد المذون في ركن
آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خايلك وصفيك
وآثر أسدقائك ، وأعز أودائك عليك ، فبكل
آلاء ذلك عندك أنتحلفك أن تصدقني ... ماذا
تعرف من أخباره ، وما ذا عسيت سمعت من
أنبائه ؟ »

وتنفّس الملك تنفّسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأوب : أبليت حقارة نفوسهم
أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا باءوا
بما صنعوا : ألا ما أشبههم بهذه الوعدة التي أجاهها
المخاض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد
إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها (١) !
حنانك يا آلهة زيوس : مينرقا ! أبوللو (٢) ! أين
هو فيبطش الجبارين كما بطش بفيلوميليد العسّي من
قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعته وأزفت آرزقهم ...
فطب نفساً يا بني ! إني متببك بما علمته عن أبيك
من (بروتيوس) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار
ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية بامم
الآلهة ، فبلغنا شطآن مصر ، ورسونا عند جزيرة
فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نروى من
كوثر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ،

تليماخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل
نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى
وصيفاتها فأمرعن إلى مخادع الأضياف ، فأصاحن
فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم
نهض أمين الملك ، ونهض في إثره يتراستراتوس
وتليماخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن
كل في سريرته ، وناما ... في ... سمور وفي
قائم وفي سنجاب

وتهاويل غير ذاك من الر

قم ومن سندس ومن زرباب (١)

ونَهَضَ الملك والملكة كذلك فدخلوا القصر ،

واستلما لأطيب الرقاد

وذراً قرناً أورورا ، ربة الفجر ، في المشرق
الوردي ، فهب الملك وأصلح شأنه ، ورف بازئته
الأشهب فوقف على غاريه ، ثم مضى إلى مجلسه
حيث اتى تليماك في انتظاره ، فحياً وجلس وبدأ
حديثه فقال :

« أي بني ! تليماخوس ! أيها البطل وسليل
البطل ! فيم شددت رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب
ليسيديمون (٢) في فلات البر وسروات البحر ؟
الأمر عام ، أم شأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »
وأجاب تليماك : « مولاي الملك ! منالايوس
المعظم ! لقد جئت أتحسس خبراً عن أبي وأقبات
أحدث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته فإيريمون
يستترفون غلته ، ويهاككون حرثه ، ثم هم مع ذاك

(١) الشعر لابن الرومي لم نجد أحسن منه في ترجمة

آيات مومس

(٢) من أسماء السيرة

(١) جمع غفر وهو ولد الوعل

(٢) كان أبوللو من خصوم اليونانيين في حرب

ملروادة ولذا يدهشنا هذا الدعاء

تتغفله فتقبض عليه وتشد وثاقه ، فانه يقفك على
أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهى بك
سالماً غاماً الى بلادك . بل ربما - إذا طابت اليه
ذلك - وقفك على كل ما حصل فى بيتك من خير
أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك
صنى السماء وحبيب الآلهة .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدى بنى الموتى
أن تقبض على هذا الآله البحرى الكريم ؛ ولم
أخف عنها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها
أنه ربما ولى دبرة إذا شمر منى بهذه المحاولة فلا
أستطيع لقاءه بعدها أبداً . بيد أنها طمأنتنى ،
وذكرت أن أباهما يخرج من الأعماق فى الظهيرة
إلى جون قريب حيث يستلقى برهة وسط قطعان
كشيفة من عجول البحر ، من ذرارى هاليسودنا
الجميلة ، نأنى هى الأخرى فى أثره لتنام نمة . . .
« فإذا كانت هذه الساعة فانى سأقودك بنفسى إلى
هناك ، وليكن معك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم
وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منعرج آمن تنتظرون
به حتى يكون قد غلبه السكرى ، ثم تنقضون عليه
فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبكم بشيء
أبداً ؛ إنه سيكون ثارة شيلارابيا ، وثارة سيكون
ناراً ترى بشرى كالقصر كأنه جبال صفر ،
وأخرى يكون أفعوانا هائلاً ينفث السم . . .
ولكن خذوه أخذاً شديداً ولا تفتلوه فتهاكوا . . .
فانه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى صورته الأولى
التي رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك أسلس قياده ،
وهذا وتطامن . . . فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ،
فدعوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فانه
مجيئكم عما تسألون . »

ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا برقه
عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا
أنه المهاد ، لولا أن رمت لنا إحدى عرائس البحر
فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كنت
أجاس وحدى فى منعرج بأحد أطراف الجزيرة ،
وكان بقية صحبى وأكثر الملاحون يرتادون الماء
بشوصهم^(١) عسى أن يحصلوا على سمك طرى
يكون غذاءً لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا)
الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت
حتى كانت تلقانى ، ثم جاست بجانبى ، وحدثتنى
فقلت : « أيتها النازح الغريب : أأكبر الظن أنك
مذهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من
الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء
السرمدى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما
تنوى مضياً ، ولا تلتئمس مخرجاً ، ولو هلك كل
أصحابك ! »

ولم أبال أنى شذعت ، فسألها قائلاً : حسبك
ياربة : إنى ما لصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ،
ولا أقت فيها عرسانى ، بل كنت ذلك قدراً على
مقدوراً ؛ ولكن أخبرى بحقك إذ الآلهة تعلم كل
شئ - من من أرباب السماء يحبسنى هنا ؟ . . .
وهل مقدورى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا
اليم المضطرب ؟ . . . »

وقالت عروس الماء : « أيتها النازح الغريب :
سأنبئك فأصدقك : إنك الآن مقيم بشطآن مصر
التي تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد
الأعماق ، ورب البهاء المصرية ، والتصل برعايا
نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن